القاضي منذر بن سعيد البلوطي
حياته وسيرته العلمية

م.م. بهار أحمد جاسم كلية التربية / جامعة ديالى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين

يعد القاضي منذر بن سعيد البلوطي من القضاة الذين كان لهم دور كبير في الوعظ والإرشاد في الأندلس ، لاسيما وأنه عاصر الخليفة الناصر لدين الله ، فكان دائماً ما يكون بين يدي الخليفة الناصر ليذكره ويوعظه ويحذره من إسرافه وتبذيره أموال المسلمين نتيجة لانشغاله الزائد بالبناء والعمران ، فكان البلوطي قوالاً للحق لا تأخذه في الله لومة لائم . وكان من الذين طلبوا العلم ورحلوا من أجله . وألف كتب كثيرة في السنة والقرآن والورع،وكان البلوطي خطيباً بليغاً،وقاضياً عادلاً، حريصاً على تطبيق العدل والدفاع من أجله. فلم تحفظ له قضية جور مدة توليه القضاء، فقد تناولنا في بحثنا هذا الموسوم بـ (القاضي منذر بن سعيد البلوطي،حياته وسيرته العلمية) أسمه ونسبه وكنيته، ومن ثم رحلته في طلب العلم.

ودرسنا في بحثنا هذا العلاقة التي ربطت بين القاضي البلوطي والخليفة الناصر لدين الله، ومن ثم تناولنا دراسة لعلمه في تفسير القرآن . وتعرضنا في هذا البحث ذكر لعدد من خطب البلوطي وأشهرها . ومن ثم تناولنا دراسة لأقوال العلماء فيه .

ومن ثم ذكرنا الروايات التي تناولت سنة وفاته ومن ثم جاءت الخاتمة لتبين أهم ما توصلت إليه دراسة البحث .

ومن الله التوفيق

أسمه ونسبه وكنيته :-

منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الله[١] البلوطي* الأندلسي ،الكزني[٢]،وكزنة فخذ من البربر[٣]،من أهل قرطبة . يكنى أبا الحكم[٤]،ولد سنة ٢٧٣[٥] .

كان البلوطي فقيهاً،عالماً،أديباً،بليغاً،وشاعراً،وخطيباً،على المنابر وفي المحافل[٦]، لم يسمع بالأندلس أخطب منه، من القضاة،ولي قضاء ماردة وما والاها،ثم قضاء الثغور الشرقية ،وتولى قضاء الجماعة بقرطبة . في زمن الخليفة الناصر لدين الله،إلى أن مات الناصر ثم ولي أبنه الحكم فأقره في القضاء ،إلا أنه أستعفى مراراً فما أعفي ،ولم يحفظ عن مدة ولايته قضية جور،فكان قوالاً للحق لا يخاف في الله لومة لائم ، وكان كثير الإنكار عل الناصر لدين الله ،فكان البلوطي بليغ الموعظة ،كبير الشأن[٧] .

لم نجد بين أيدينا من المصادر التاريخية ما يعيننا على تحديد الملامح الأولى لنشأته وطفولته ومراحل حياته الأولى، حتى أنها لم تذكر شيء عن أسرته أو عائلته وزواجه . بحسب ما روته هذه المصادر.

رحلته في طلب العلم :-

تعد الرحلة في طلب العلم ضرورة من الضرورات التي يلجأ إليها كل طالب علم .
بعد أن يستكمل ما في بلده من علوم ومعارف، ولاسيما أن الدين الإسلامي حث على طلب العلم ، فقد قال تعالى (وقل ربي زدني علماً)[٨]، فضلاً عن ذلك فأن السنة النبوية الشريفة قد حثت على طلب العلم فقال نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)(من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقه إلى الجنة)[٩].

فبعد أن أستكمل القاضي منذر دراسته في الأندلس . وسمع بها من شيوخها وعلمائها[١٠]،دأب على الرحلة وطلب العلم،فرحل إلى مكة حاجاً سنة ثمان وثلاثمائة،فأقام في رحلته أربعين شهراً ،فلقي من العلماء والأدباء،فجلب في رحلته كتاب الأشراف في اختلاف العلماء رواية عن مؤلفه محمد بن المنذر النيسابوري[١١]،وبعدها رحل إلى مصر وجلب كتاب العين عن مؤلفه الخليل بن أحمد الفراهيدي[١٢] .

فأخلص البلوطي في طلب العلم والتزود به، وصب جل عنايته ووقته بطلبه وتحصيله،وبعدها دخل الأندلس من علم النظر ومن علم اللغة كتبا كثيرة،وأتصل بالخليفة الناصر لدين الله فحظى عنده،ثم عند أبنه الحكم من بعد وفاته[١٣] .

فكان البلوطي غزير العلم،كثير الأدب، متكلماً بالحق، متبيناً بالصدق، وقد ألف كتب كثيرة في السنة والقرآن والورع، والرد على أهل الأهواء والبدع، ولا سيما بعد رحلته في طلب العلم وعودته إلى بلاده الأندلس[١٤] .

العلاقة بين القاضي البلوطي والخليفة الناصر لدين الله :-

أتصف الناصر لدين الله باحترام وحب العلماء والفقهاء،وكان معجباً أشد الإعجاب بالقاضي منذر بن سعيد البلوطي ، حيث أن الناصر لدين الله أتبع سياسة الاحترام والتبادل الدبلوماسي مع الممالك الأسبانية والدول المجاورة ، وتم تبادل السفارات والهدايا مع عدد من ملوك الدول المسيحية بسبب قوة جيشه ، وغنى الأندلس والازدهار العلمي والأمن والاستقرار ، والموقع الجغرافي المهم للأندلس ،،وكان ملكه في الأندلس في غاية ما يكون من الفخامة ورفعة الشأن ، وهادته الروم وازدلفت إليه، تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والأفرنجة والمجوس وسائر الأمم ، إلا وجرت إليه وأوفدت خاضعة راغبة ، وانصرفت عنه راضية،،[١٥] فتوجهت الوفود والسفارات من كل جانب قاصدة الأندلس ، وتخطب ود قرطبة وترغب في عقد اتفاقيات السلام معها ، وكسب صداقة الخليفة الناصر باعتباره زعيم الأمة الإسلامية[١٦] ، وكانت أبرز تلك السفارات وأهمها والتي كانت سبب معرفة الخليفة الناصر لدين الله بالقاضي منذر بن سعيد البلوطي لأول مرة وتعلقه به هي سفاره عام ٣٣٨هـ ، حيث أن الخليفة الناصر لما أحتفل لدخول ملك الروم صاحب قسطنطينية عليه بقصر قرطبة الاحتفال الذي شهد ذكره في الناس ،،أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لتذكر جلالة مقعده ،وعظيم سلطانه، وتصف ما تهيأ من توطيد الخلافة في دولته،،[١٧] ،

وقد هيئ إلى الأمير الحكم أبنه وولي عهده بأعداد من يقوم لذلك من الخطباء ، ويقدمه ،أمام إنشاد الشعراء ، فتقدم لذلك أبو علي القالي ** ضيف الخليفة. فلما شاهد الجمع العظيم بهره هول المقام وأبهة الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظة ، فلم تحمله رجلاه . ولم يساعده لسانه ، بل غشي عليه وسقط إلى الأرض[١٨] فقيل له ،، قم فأرقع هذا الوهى ،،[١٩] ، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فأنقطع به القول ساكتاً . مفكراً في كلام يدخل به فلم يستطع ، فلما رأى منذر بن سعيد البلوطي ذلك ،

وكان ممن حضر في زمرة الفقهاء . فوثب في الحال ، وقام مقامه ، فأرتجل خطبة بديعة من غير استعداد ولا روية ولا تقدم له أحد في ذلك بشيء فخطب وأستخفر وجلا في ذلك القصد، وأنشد أخر الخطبة شعراً طويلاً ، ارتجله في ذلك الغرض ، ففاز بفخر ذلك المجلس، فبهر العقول ، وخرج الناس يتحدثون ببلاغته وحسن بيانه وثبات جنانه. وكان الخليفة الناصر لدين الله أشد تعجبا وإعجاباً به.فسأل عنه أبنه الحكم ولم يكن يعرفه فقال له:هذا منذر بن سعيد البلوطي [٢٠]

فقال:"والله لقد أحسن ما شاء ، فلئن كان حبر خطبته هذه وأعدها . مخافة أن يدور ما دار . فيتلافى الوهى . أنه لبديع من قدرته واحتياطه، ولئن كان أتى بها على البديهة لوقته ، أنه لأعجب وأغرب فكان سبب اتصاله به واستعماله"[٢١] ، ثم قربه وولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء ، ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة[٢٢] .

يبدو أن منذر بن سعيد البلوطي قد تصاعدت مكانته وأصبح من رجالات العلم والمعرفة وأخباره مشهورة ، لاسيما بعد أن القي خطبته الشهيرة في ذلك اليوم المشهود . وسنتناول خطبته الشهيرة هذه مع عدد من خطبه البليغة فيما بعد .

وقد تطورت العلاقة بين القاضي البلوطي وبين الخليفة الناصر لدين الله . حتى أصبح البلوطي بمثابة المؤنب والمحذر للخليفة الناصر لدين الله وذلك نتيجة لإسرافه وتبذيره في تشييد البنيان والاستغراق في زخرفته والإسراف في الأنفاق عليه، فكان منذر بن سعيد البلوطي لا تأخذه في الله لومة لائم . فكان دائماً بين يدي الخليفة الناصر يتناوله فيها بالعظات والزواجر غير هياب ولا محتشم[٢٣] فكان الخليفة الناصر لدين الله مولعاً بعمارة الأرض، فأفضي به الإفراط في ذلك إلى الانشغال بناء مدينته الزهراء ، وأستفرغ جهده في إتقان قصورها وزخرفة دورها ،حتى أنه ترك صلاة الجمعة بالمسجد الجامع ثلاث جمع متواليات، فأراد القاضي منذر تنبيهه بما يتناوله به في الموعظة وتذكيره بالإنابة والرجوع [٢٤] ، فأبتدأ خطبته في الجمعة الرابعة بقوله تعالى (أتبنون بكل ريع أيه تعبثون ۞ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون)[٢٥] ، وواصل ذلك "بكلام جزل وقول فصل . ثم أتى ما يناسب المقام من التخويف بالموت والدعاء إلى الزهد في الدنيا. والأقصار من اللذات والشهوات وأتباع الهوى، وأورد أحاديث وأثار تشاكل ذلك،حتى خشيى الناس وبكوا وأعلنوا بالتوبة والاستغفار"[٢٦]،

وأخذ الناصر من ذلك بأوفر حظ . وقد علم أنه المقصود بالموعظة ، وندم على ما أفرط وفرط، إلا أنه غضب على منذر لما قرعه به ، فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر فقال: والله لقد تعمدني منذر بخطبته وما عنى بها غيري ، فأسرف وأفرط في تقريعي ثم أقسم إلا يصلي خلفه صلاة الجمعة خاصة ، وسأله أبنه الحكم أن يعزل منذر عن الصلاة بالزهراء والاستبدال به إذا كرهه ،فقال له أبوه الناصر" أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه ، يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد،وأني لأستحي من الله إلا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعاً مثل منذر في ورعه وصدقه[٢٧] .

واستمر القاضي البلوطي في تأنيب وتذكير الخليفة الناصر على إسرافه وتبذيره ،فدخل البلوطي يوماً على الخليفة الناصر أثناء حفله دعوة أقامها الخليفة لكبار رجال دولته عند أكمال بناء الزهراء وافتتاحها للتفاخر والتباهي والتعرف عليها، وقد عمل في بعض سطوح الزهراء قبة بالذهب والفضة ،وبنى فيها قصر عظيم وزخرف بأنواع الدهانات وكسي بالستور ، وجلس فيها ودخل ، الأعيان وجلس عنده رؤوس دولته [٢٨] وأمراؤه . وكان القاضي يجلس في أخر صف للحاضرين "فجلس في أخر الناس وعليه ثياب رثه ،

فاخذ القوم يتأملون المجلس والقصر وإتقان بنائه وأحكامه ويثنون عليه وعلى أمير المؤمنين ويطنبون في ذلك،ومنذر مطرق برأسه إلى الأرض لا يتكلم بكلمه،،[٢٩]، فقال الخليفة الناصر كما قال لمن قبله : هل رأيت أو سمعت أن أحد من الخلفاء قبلي فعل هذا ؟ فبكى القاضي وانحدرت دموعه على لحيته وقال :،،ما كنت أظن أن الشيطان أخزاه الله يبلغ منك هذا المبلغ المهتك الفاضح، المهلك لصاحبه في الدنيا والآخرة، ولا أنك تمكنه من قيادك مع ما أتاك الله وفضلك به على كثير من الناس، حتى أنزلك منازل الكافرين والفاسقين،،[٣٠] .

فقال : لم ، فقال له البلوطي :قال الله عز وجل (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسراراً عليها يتكئون وزخرفاً وأن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين)[٣١]، فنكس الناصر رأسه طويلاً ،ثم قال: جزاك الله منا خير وعن المسلمين، الذي قلت هو الحق، وأمر بنقض سقف القبة[٣٢] .

رغم التأنيب والعضة والتذكير من قبل البلوطي للخليفة الناصر لدين الله إلا أنه ظل محباً له ومعجباً بشخصيته وورعه ودينه، ففي أخي مدة الناصر لدين الله قحط الناس قحطاً شديداً ، فأرسل الخليفة الناصر لدين الله إلى البلوطي للبروز والاستسقاء، فصام البلوطي أيام وتأهب، وأجتمع الناس في مصلى الربض ، وصعد الناصر في أعلى قصره ليشاهد الجمع، فأبطأ منذر، ثم خرج راجلاً متخشعاً وقام ليخطب، فلما رأى الحال بكى ونشج وأفتتح خطبته بأن قال: سلام عليكم (كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم)[٣٣] . فضج الناس بالبكاء وجأروا بالتضرع والدعاء ، وخطب وأبلغ . فلم ينفض القوم حتى نزل غيث عظيم ، وأستسقى الناس ورجعوا يخوضون الماء، أما الخليفة الناصر لدين الله لم يكن قط أخشع منه في يومه هذا .

فكان منفرد بنفسه لابس أخشن الثياب ، ومفترش التراب قد علا نحيبه واعترافه بذنوبه ويقول: ،،رب هذه ناصيتي بيدك ،أتراك تعذب الرعية وأنت أحكم الحاكمين وأعدلهم وأن يفوتك مني شيء،فتهلل منذر بن سعيد، وقال .... أذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء،،[٣٤]

أستمر القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضياً وخطيباً حتى وفاة الخليفة الناصر لدين الله حيث،أقره من بعده أبنه الخليفة الحكم على القضاء وأستعفى غير مرة وما أعفاه ، وكان وقوراً صليباً في الحكم مقدماً على إقالة الحق والعدل وإزهاق الجور والباطل ،آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر .

علمه بتفسير القرآن

يعد القاضي منذر من العلماء الذين اهتموا بعلوم القرآن وتفسيره فقد وضع البلوطي في الطبقة السادسة من نحاة الأندلس . وكان متفنناً في ضروب العلم [٣٥]،وكان أعلم الناس باختلاف الفقهاء ، وكان مذهب النظر والجدل ، وكان من أهل النفاذ والتحصيل متدرباً للمناظرة،متخلفاً بالإنصاف ، يميل إلى طرق الفضائل ، ويوالي أهلها ويلهج بأخبار الصالحين [٣٦] .

وقد صنف البلوطي كتب مشهورة كثيرة مؤلفة في القرآن والفقه أخذها الناس عنه وقرؤوها عليه ، منها كتاب الأنباه عن استنباط الأحكام من كتاب الله ويسمى أحكام القرآن ، وكتاب الإبانة عن حقائق أصول الديانة . وكتاب الناسخ والمنسوخ . وغير ذلك من التصانيف وله خطب ورسائل بليغة وأشعار متفرقة مطبوعة [٣٧].

ومن أبرز مروياته في تفسير القرآن الكريم قوله في تفسير
قوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من أملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون)[٣٨].
فجاء في تفسير هذه الآية ذكر حق الأولاد على الوالدين وهو أن لا يقتلوهم من أجل الإملاق والإملاق هو الفقر،فكانت الجاهلية تفعل ذلك بالذكور والإناث خشية الإملاق ،وتفعله بالإناث خاصة خشية العار،فذكر لنا منذر بن سعيد البلوطي أن الإملاق هو الإنفاق،فيقال أملق ماله بمعنى أنفقه ، ولا تقربوا الفواحش أي المعاصي ومنه لا تقربوا الزنى أنه فاحشة ، ولا تقتلوا النفس أي لا تقتلوا شيئاً من الأنفس التي حرمها الله إلا بالحق أي إلا بما يوجبه الحق [٣٩] .
وجاء في تفسير
قوله تعالى (والذين أمنوا وأتبعتهم ذريتهم بأيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين)[٤٠] .
فقد أختلف في تفسير هذه الآية فقيل في معنى الآية بأن الله تعالى أخبر أن المؤمنين الذين أتبعتهم ذريتهم في الإيمان يلحق الأبناء في الجنة بمراتب الإباء وأن لم يكن الأبناء في التقوى والإعمال كالإباء أي أن الله تعالى يلحق الأبناء الصغار بأحكام الإباء المؤمنين يعني بالموارثة والدفن في مقابر المسلمين وفي أحكام الآخرة وفي الجنة ،أما القاضي منذر فقد ذكر في تفسير هذه الآية هي في الصغار لا في الكبار [٤١] .
ومما جاء في كتب التفسير عن منذر بن سعيد في تفسير
قوله تعالى (أزفت الآزفة۞ليس لها من دون الله كاشفة)[٤٢] .
أنه قال أزفت الآزفة معناه قربت القريبة والآزفة عبارة عن يوم القيامة بإجماع من المفسرين وأزف معناه قرب جداً وليس لها من دون الله من كاشفة . أي ليس لها من الله من يكشف وقتها ويعلمه فالله هو من يكشف الضر ويدفعه،أي ليس من يكشف هولها وخطبها إلا الله [٤٣] .
وجاء في تفسير
قوله تعالى (الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور ۞ ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير)[٤٤].
فقال البلوطي في تفسير الآية أن الله سبحانه وتعالى أمر بالنظر إلى السماء وخلقها ثم أمر بتكرير النظر وكذلك جميع المخلوقات متى ناظرها ليرى فيها خللاً أو نقصاً فأن بصره ينقلب خاسئاً حسير ، ورجع البصر ترديده في الشيء المبصر . وكرتين معناه مرتين والخاسئ المبعد عن شيء أراده وحرص عليه ،ومنه قوله تعالى فيها وكذلك البصر يحرص على رؤية فطور أو تفاوت ،فلا يجد ذلك فينقلب خاسئاً حسير[٤٥] .
وجاء في تفسير
قوله تعالى (وجاء ربك والملك صفاً صفاً ۞وجائ يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى)[٤٦] .
فقال منذر في قوله تعالى وجاء ربك معناه ظهور للخلق هنالك ليس مجيء نقله ،وكذلك مجيء الصاخة والطامة.والملك أسم جنس يريد به جميع الملائكة صفاً أي صفوفاً حول الأرض يوم القيامة،وروي في قوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم أنها تساق إلى المحشر بسبعين إلف زمام يمسك كل زمام سبعون إلف ملك فيخرج منها عنق فينتقى الجبابرة من الكفار ،وقوله تعالى يومئذ يتذكر الإنسان معناه يتذكر عصيانه وما فاته من العمل الصالح[٤٧] .
أما ما جاء في تفسير

قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين)[٤٨] .
فضرب بهذه الآية مثلاً لليهود لما تركوا العمل بالتوراة ،ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ،
وحملوا التوراة أي كلفوا العمل بها،أما منذر بن سعيد فأنشد في ذلك شعراً فأحسن فقال :
أنعق بما شئت تجد أنصاراً ☼ و وزم أسفاراً تجد حماراً يحمل ما وضعت من أسفار☼
يحمله كمثل الحمار يحمل أسفاراً له وما درى ☼ أن كان ما فيها صواباً وخطأ أن سئلوا قالوا
كذا روينا☼ما أن كذبنا ولا اعتدينا كبيرهم يصغر عند الحفل☼لأنه قلد أهل الجهل[٤٩].
وهناك الكثير من التفاصيل لا مجال لحصرها أوردها القاضي منذر بن سعيد البلوطي في تفسير الكثير من الآيات نجدها في كتب التفسير .

نماذج من خطب البلوطي الشهيرة :-
لم يكن القاضي البلوطي فقيهاً محققاً ،وشاعراً لبيباً وأديباً وقاضياً فحسب ،بل كان خطيبا بليغاً مفهوماً لم يسمع بالأندلس أخطب منه ،وله اليوم المشهور الذي ملأ فيه الأذان وبهر العقول ، اليوم الذي أستقبل به الخليفة الناصر لدين الله ملك الروم صاحب قسطنطينية ، حيث ألقى البلوطي خطبة بليغة في الاحتفال الذي تقدم ذكره ومما جاء فيها :
أما بعد فأن لكل حادثة مقام،ولكل مقام مقال،وليس بعد الحق إلا الضلال،وأني قد قمت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم ،فأصغوا إلي معشر الملأ بأسماعكم.
أن من الحق أن يقال للمحق صدقت ،وللمبطل كذبت ،وأن الجليل تعالى في سمائه وتقدس بأسمائه ،أمر كليمه موسى أن يذكر قومه بنعم الله عندهم[٥٠]،وأنا أذكركم نعم الله عليكم وتلافيه لكم بولاية أميركم،التي أمنت سربكم ورفعت خوفكم ،وكنتم قليلا فكثركم،ومستضعفين فقواكم ،ومستذلين فنصركم ،ولاه الله أياماً،ضربت الفتنة سرادقها على الأفاق ،وأحاطت بكم شعل النفاق،حتى صرتم مثل صدقة البعير مع ضيق الحال والتغيير،فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء[٥١]...أنا شدكم الله. ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها؟ والسبل مخوفة فأمنها ،والأموال منتهية فأحرزها ،والبلاد خراب فعمرها ،والثغور مهتضمة فحماها ونصرها ،فاذكروا ألاء الله عليكم ... أقول قولي هذا وأختم بالحمد لله رب العالمين مستغفراً الله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين[٥٢] .
كانت هذه من الخطب البليغة التي ارتجلها البلوطي على غير أهبة ولا استعداد ،والتي كانت سبب في تعلق الناصر به فولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع في الزهراء ، وولاه القضاء في قرطبة وفي مدن أخرى ، وقد أنشد البلوطي لنفسه في أخر الخطبة قائلاً:

هذا المقام الذي ما عابه فند ... لكن قائله أزرى به البلد
لو كنت فيهم غريباً مطرقاً ... لكنني منهم فاغتالني النكد
لولا الخلافة أبقى الله حرمتها ... ما كنت أرضى بأرض ما بها أحد[٥٣]

ومن الخطب التي خطبها البلوطي،خطب يوما خطبة وأراد بها التواضع. فكان مما قال فيها :

حتى متى والى متى أعظ ولا أتعظ وأزجر ولا أنزجر،أدل الطريق إلى المستدلين، وأبقى مقيماً مع الحائرين، كلا أن هذا لهو البلاء المبين،أن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء[٥٤] أنت ولينا فأغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين. اللهم فرغني لما خلقتني له ولا تشغلني بما تكفلت لي به ولا تحرمني وأنا أسألك ولا تعذبني وأنا أستغفرك
يا أرحم الراحمين [٥٥] .

أقوال العلماء فيه :-

لا شك أن شخصية مثل شخصية القاضي منذر بن سعيد البلوطي ، تكون موضع تقدير واحترام العلماء،فقد أثنى عليه كثير من العلماء ممن جاءوا بعده .
فقال عنه الذهبي كان البلوطي" فطناً بليغاً متفوهاً"[٥٦]،وقال في موضع أخر"وكان قوالاً في الحق لا يخاف لومة لائم"[٥٧].
ومما قيل عنه وعن علمه أنه"جيد الفهم ، طويل العلم ، بليغاً موجزاً ، يميل إلى طرق الفضائل ، ويوالي أهلها ، ويلهج بأخبار الصالحين"[٥٨] .
وقيل أيضاً عنه "منذر بن سعيد البلوطي آية حركة وسكون وبركة لم تكن معدة وآية سفاهة في تحكم وجهامة وورع في طي تبسم إذا جد وجد وإذا هزل نزل "[٥٩] .
وقال فيه أبن كثير أنه كان "كثير الفضل ، جامعاً لصنوف من الخير والتقوى والزهد"[٦٠].
أما صاحب كتاب شذرات الذهب فقال عنه كان منذر"فطناً مناظراً ذكياً بليغاً مفهوماً"(٦١).

وفاته:-

فيما يتعلق بوفاة البلوطي ،فقد اتفقت أغلب المصادر على أنه توفي يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة خمس وخمسين وثلاثمائة للهجرة،وهو أبن اثنتين وثمانين سنة وسبعة أشهر [٦٢] .
إلا أننا نجد من يذكر أن سنة وفاته كانت يوم الخميس لأربع خلوت من ربيع الأول سنة ٣٤٩هـ وقد بلغ من السن سبع وأربعين سنة[٦٣] .
وإذا كان لنا أن نرجح أحدى هذه الروايات فأولاها الرواية الأولى والتي تتفق مع أغلب من ترجم له حسب ما أطلعنا عليه .

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه،في نهاية هذا البحث والذي تضمن(القاضي منذر بن سعيد البلوطي حياته وسيرته العلمية) فقد توصلنا إلى جملة من النتائج والتي يمكن أجمالها بالنقاط الآتية :-

١- أن ولادة القاضي البلوطي كانت سنة ٢٧٣هـ وهو من أهل قرطبة وانه عاش أثنان وثمانين سنة وسبعة أشهر وأن وفاته كانت سنة ٣٥٥هـ في زمن الخليفة الناصر لدين الله .

٢- لم تذكر لنا المصادر التاريخية شيء عن أسرته وعائلته أو أنه قد أنحدر من أسرة عريقة ولم تذكر لنا شيء عن زواجه أو تكوين أسرته .

٣- لم يقتصر القاضي منذر بن سعيد على القضاء بل كان متنوع الثقافة فكان أديباً وشاعراً وخطيباً ومفسراً.

٤- بينت الدراسة أن العلاقة التي كانت تربط البلوطي بالخليفة الناصر هي علاقة المرشد والموعظ والمذكر للخليفة على الاهتمام بأمور المسلمين وعدم التبذير والإسراف .

الهوامش

١- أبن عساكر،تاريخ مدينة دمشق،٢٣١/٦١ ؛النباهي المالقي، المرقبة العليا ،٦٦ ؛إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ٤٧٢/٢

* البلوطي : نسبه إلى فحص البلوط ناحية بالأندلس يسكنها البربر، وفيه معادن الزئبق ومنها يحمل إلى جميع البلاد وأكثر أرضهم شجر البلوط . ينظر. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤٩٢/١ .

٢- ألحميدي جذوة المقبس،٣٤٨/٣؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ٤٥٠ -٤٥١؛السمعاني ، الأنساب ، ٣٩٥/١ ؛ الذهبي ، سير إعلام النبلاء،١٧٣/١٦ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ٨/١٣ .

٣- ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ١٤٤/٢-١٤٥ ؛الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٢٦٨/١ ؛كحالة ، معجم المؤلفين ،٨/١٣ ٠

٤- ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ،١٤٤/٢-١٤٥ ؛ جلال الدين السيوطي ،بغية الوعاة ٣٩٨ ؛ابن ألعماد ، شذرات الذهب ،١٧/٣ ٠

٥- ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ،١٤٤/٢-١٤٥؛إسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين،٤٧٢/٢؛كحالة،معجم المؤلفين،٨/١٣ ،وذكر بعضهم أن مولده سنة ٢٦٥هـ ينظر المقري،نفح الطيب،٣٧٢/١ .

٦- ألحميدي،جذوة المقتبس،٣٤٨/٣-٣٤٩ ؛ الضبي،بغية الملتمس ،٤٥٠-٤٥١ ؛ياقوت الحموي ،معجم الأدباء ،١٧٤/١٩ ؛أبن كثير،البداية والنهاية ،٣٢٧/١١ ؛أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،٤/١٣

٧- ألحميدي،جذوة المقتبس،٣٤٨/٣-٣٤٩ ؛الضبي،بغية الملتمس،٤٥٠-٤٥١؛ياقوت الحموي، معجم الأدباء ،١٧٤/١٩ ؛الذهبي ،تاريخ الإسلام، ٢٢٦٩/١ .

٨- سورة طه ،الآية ١١٤ .

٩- الترمذي ، سنن الترمذي ، ٢٨/٥

١٠- أبن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ،١٤٤/٢-١٤٥؛كحالة ،معجم المؤلفين ،٩/١٣

١١- أبن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ،١٤٤/٢-١٤٥ ؛ياقوت الحموي،معجم الأدباء،١٧٤/١٩؛الذهبي ،سير أعلام النبلاء ،١٧٥/١٦ .

١٢- ياقوت الحموي ،معجم الأدباء،١٧٤/١٩ ؛جلال الدين السيوطي ،بغية الوعاة،٣٩٨ .

١٣- ياقوت ،معجم الأدباء ،١٧٤/١٩؛الذهبي ،سير أعلام النبلاء ،١٧٥/١٦ .
١٤- المقري ، نفح الطيب ، ٣٧٥/١ .
١٥- أبن خلدون ،تاريخ أبن خلدون ،١٣٧/٤؛المقري،نفح الطيب، ٣٤٣/١ .
١٦- ألحجي ، أندلسيات ،مج٢، ٧٤-٧٥ .
١٧- ياقوت الحموي،معجم الأدباء ،١٧٤/١٩-١٧٥؛النباهي المالقي،المرقبة العليا، ٦٦-٦٧،المقري ،٣٧٢/١؛ صفوت ، جمهرة خطب العرب، ١٦٩/٣ .
** أبو علي القالي: إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هارون بن عيسى العراقي اللغوي الأموي صاحب كتاب الامالي .ينظر ،ياقوت الحموي ،معجم الأدباء ،٢٢٩/٤ .
١٨- الذهبي ،سير إعلام النبلاء ،١٧٤/١٦؛النباهي المالقي،المرقبة العليا،٦٦-٦٧ ؛المقري ، نفح الطيب ،٣٧٢/١ .
١٩- النباهي المالقي ، المرقبة العليا ،٦٧؛صفوت،جمهرة خطب العرب ،١٦٩./٣
٢٠- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء،١٧٥/١٩؛ الذهبي ،تاريخ الإسلام ،٢٢٦٩/١، سير أعلام النبلاء ،١٧٤/١٦؛المقري ، نفح الطيب ،٣٧٢/١ .
٢١- ياقوت الحموي ،معجم الأدباء ،١٧٥/١٩؛النباهي المالقي ،المرقبة العليا ،٦٩ .
٢٢- ياقوت الحموي،معجم الأدباء، ١٧٥/١٩؛الذهبي، سير أعلام النبلاء ،١٧٥/١٦؛صفوت،جمهرة خطب العرب ،١٧٢/٣ .
٢٣- ياقوت الحموي ،معجم الأدباء ،١٨١/١٩؛النباهي المالقي ،المرقبة العليا ،٦٩-.٧٠
٢٤- ياقوت الحموي ،معجم الأدباء ،١٨١/١٩-١٨٢؛النباهي المالقي ،المرقبة العليا،٦٩-٧٠
٢٥- سورة الشعراء ،الآية ١٢٨ و ١٢٩ .
٢٦- ياقوت الحموي ،معجم الأدباء،١٨١/١٩-١٨٢؛أبن سعيد ،المغرب،٧٩/١؛مجهول،ذكر بلاد الأندلس ،١٦٥/١-.١٦٦
٢٧- ياقوت الحموي ،معجم الأدباء،١٨١/١٩-١٨٢؛أبن سعيد، المغرب ،٧٩/١ .
٢٨- الذهبي ،سير أعلام النبلاء ،١٧٧/١٦؛أبن كثير،البداية والنهاية،٣٢٧/١١؛مجهول ،ذكر بلاد الأندلس ١٦٥/١-١٦٦ .
٢٩- أبن كثير ، البداية والنهاية ،٣٢٧/١١؛مجهول ،ذكر بلاد الأندلس ،١٦٥/١-١٦٦ .
٣٠- أبن كثير ،البداية والنهاية ،٣٢٧/١١؛النباهي المالقي ،المرقبة العليا ،٦٩-٧٠ .
٣١- سورة الزخرف ،الآيات ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ .
٣٢- الذهبي،سير أعلام النبلاء ،١٧٧/١٦؛أبن كثير ،البداية والنهاية ،٣٢٧/١١ .
٣٣- سورة الإنعام ،الآية ٥٤ .
٣٤- الذهبي ،سير أعلام النبلاء ،١٧٦/١٦-١٧٧؛أبن كثير ، البداية والنهاية ،٣٢٧/١١؛النباهي المالقي ،المرقبة العليا ،٧٠-٧١ .
٣٥- جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة،٣٩٨ .
٣٦- الذهبي ،سير أعلام النبلاء ،١٧٥/١٦ .
٣٧- ألحميدي،جذوة المقتبس ،٣٤٨-٣٤٩؛ياقوت الحموي ،معجم الأدباء ،١٧٦/١٩؛جلال الدين السيوطي ،بغية الوعاة ،٣٩٨؛إسماعيل باشا البغدادي ،هدية العارفين ،٤٧٢ .
٣٨- سورة الإنعام ،الآية ،١٥١ .
٣٩- الشوكاني،فتح القدير ،١٧٧/٢ .
٤٠- سورة الطور ،الآية ٢١ .
٤١- الثعالبي ،تفسير الثعالبي ،٣١٣/٥ .

٤٢- سورة النجم ،الآيات ٥٧ و ٥٨ .
٤٣- الثعالبي ،تفسير الثعالبي ،٣٣٣/٥-٣٣٤ .
٤٤- سورة الملك ،الآيات ٣ و٤ .
٤٥- الثعالبي ،تفسير الثعالبي،٤٥٧/٥ .
٤٦- سورة الفجر ،الآيات ٢٢و ٢٣ .
٤٧- الثعالبي ،تفسير الثعالبي،٥٨٨/٥ .
٤٨- سورة الجمعة ،الآية ٥ .
٤٩- القرطبي ،تفسير القرطبي ، ٩٤/١٨-٩٥ .
٥٠- ياقوت الحموي ،معجم الأدباء،١٧٦/١٩-١٨٠؛الذهبي ،سير أعلام النبلاء ،١٧٨/١٦ .
٥١- الذهبي ،سير أعلام النبلاء ،١٧٨/١٦؛صفوت ،جمهرة خطب العرب ،١٧٠/٣-١٧٢ .
٥٢- ياقوت الحموي ،معجم الأدباء ،١٧٦/١٩-١٨٠؛الذهبي ،تاريخ الإسلام،٢٢٦٩/١،النباهي المالقي ،المرقبة العليا ،٦٧-٦٨ .
٥٣- ألحميدي،جذوة المقتبس ،٣٤٨/٣؛ الضبي ،بغية الملتمس ،٤٥١؛المقري ،نفح الطيب ، ٣٧٣/١ .
٥٤- الذهبي ،سير أعلام النبلاء،١٧٧؛صفوت ،جمهرة خطب العرب ،١٧٢/٣ .
٥٥- الذهبي ،سير أعلام النبلاء،١٧٧؛ صفوت ،جمهرة خطب العرب،١٧٢/٣ .
٥٦- تاريخ الإسلام ،٢٢٦٨/١ .
٥٧- المصدر نفسه ،٢٢٦٩/١ .
٥٨- الذهبي ،سير أعلام النبلاء،١٧٥./١٦
٥٩- المقري ، نفح الطيب ، ٣٧٥/١ .
٦٠- البداية والنهاية ،٣٢٧/١١ .
٦١- ابن ألعماد ،١٧/٣ .
٦٢- أبن الفرضي،تاريخ علماء الأندلس،١٤٥/٢ ؛السمعاني،الأنساب،٣٩٥/١ ؛الذهبي ،سير أعلام النبلاء ،١٧٨/١٦؛المقري،نفح الطيب ،٣٧٥/١ ؛ أبن العماد ، شذرات الذهب ، ١٧١/٣؛إسماعيل باشا البغدادي ،هدية العارفين ،٤٧٢/٢ .
٦٣- جلال الدين السيوطي ،بغية الوعاة ،٣٩٨ .

المصادر والمراجع

١- إسماعيل باشا البغدادي ،(١٣٣٩هـ).
هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين،مطبعة دار أحياء التراث العربي،(بيروتد.ت).
٢- الترمذي ،أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ).
سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ،دار أحياء التراث العربي ، (بيروت –د.ت).
٣- أبن تغري بردي ،أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت٨٧٤هـ)النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، (مصر-د.ت).
٤- الثعالبي ،عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد (ت٨٧٥هـ)
تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تحقيق عبد الفتاح أبو سنة ، ط ،دار أحياء التراث لعربي ،(بيروت - ١٤١٨هـ).
٥- جلال الدين السيوطي ،جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي ،(ت٩١١هـ).
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،ط١،مطبعة السعادة ،(القاهرة -١٣٢٦هـ).
٦- ألحجي،عبد الرحمن علي .
أندلسيات ،المجموعة الثانية ،(بيروت -١٩٦٩).
٧- ألحميدي،أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي(ت٤٨٨هـ)جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس،مطابع سجل العرب ،(القاهرة -١٩٦٦).
٨- أبن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ)
تاريخ أبن خلدون ،دار أحياء التراث العربي ،(بيروت –د.ت).
٩- الذهبي ،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)
ـ تاريخ الإسلام ،مؤسسة الرسالة ،(بيروت ـ١٤٠٤هـ).
ـ سير أعلام النبلاء ،تحقيق أكرم البوشي ،ط٩،مؤسسة الرسالة ،(بيروت - ١٤١٣هـ).
١٠- أبن سعيد ،أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك (ت٦٨٥هـ)،المغرب في حلى المغرب ، تحقيق زكي محمد حسن وآخرون، مطبعة جامعة فؤاد الأول،(القاهرة ـ١٩٥٣).
١١- السمعاني ،أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ)
الأنساب ،تحقيق عبد الله عمر الباوي ،ط١،دار الجنان ،(بيروت ـ١٤٠٨).
١٢- الشوكاني ، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ)
ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ،دار الفكر ،(بيروت - د.ت).
١٣- صفوت ،أحمد زكي
جمهرة خطب العرب ،المكتبة العلمية ،(بيروت ـ د.ت).

١٤- الضبي ،أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره(ت ٥٩٩)
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ،مطبعة روخس، (مجريط ـ١٨٨٤).
١٥- أبن عساكر ،أبو القاسم علي بن الحسن أبن هبة الله بن عبد الله (ت٥٧١)تاريخ مدينة دمشق ،تحقيق علي شيري ،دار الفكر للطباعة ،(بيروت ـ١٤١٥هـ).
١٦- أبن العماد . أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،المكتب التجاري للطباعة والنشر (بيروتـ د.ت).

١٧- أبن الفرضي ،أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف ،الأزدي(٤٠٣٥هـ)تاريخ علماء الأندلس،مطابع سجل العرب ،(القاهرة ـ١٩٦٦).
١٨- القرطبي ،أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ،(ت٦٧١ هـ)
الجامع لإحكام القران المسمى تفسير القرطبي ،مؤسس التاريخ العربي ،(بيروت ـ١٤٠٥هـ).
١٩- أبن كثير ،عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)
البداية والنهاية ،تحقيق علي شيري ،ط١،دار أحياء التراث العربي ،(بيروت ـ ١٤٠٨ هـ).
٢٠- كحالة ،عمر رضا
معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ،دار أحياء التراث العربي ،(بيروت ـ د.ت).
٢١- مؤلف مجهول
ذكر بلاد الأندلس،تحقيق وترجمة لويس مولينا ،(مدريد ـ١٩٨٣)
٢٢- المقري ،أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن التلمساني ،(١٤٠٤هـ)نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق أحسان عباس ،دار صادر ،(بيروت ـ١٩٦٨).
٢٣- النباهي المالقي ،أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن (ت٧٩٣هـ)المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا نشر بعنوان تاريخ قضاة الأندلس،المكتب التجاري للطباعة والنشر (بيروت ـ د.ت).
٢٤- ياقوت الحموي ،شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)
ـ معجم البلدان، دار أحياء التراث العربي ،(بيروت ـ د.ت).
ـ معجم الأدباء،ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر ،١٩٨٠.